ـ لقد تمت خوصصة مصنع الإسمنت.. لقد بيع.

ـ سيطرد نصف عماله, وستُغلق بيوت عدة.

حركت هذه الكلمات أصغريه, وجف ريقه وفلتت صرخة بطيئة:

ـ لا.. لا..!

مسك الحصان بقوة ونقله إلى الأمام, وبعنف وضع الملكة وسط الرقعة, وقتها صرخ الحضور الملتف حوله:

ـ الشاه مات..

ورفعوا كرسيه إلى الأعلى, وقد امتلأ المكان احتجاجا:

ـ لا..لا..!

ووجد الرجل نفسه يقود كل الأهالي, وبصوت واحد يصرخون:

ـ الشعب يريد....!!

ليلة عيد

ومازالت تنتظر...

نظراتها المعبأة حنينا, تمسح المكان, وتتنقل بين التفاصيل الصغيرة للأشياء؛ أشياء سكنت الحركة فيها من زمن بعيد، صمت يطبق بشدة على المكان, فيبدو أكثر فراغا وأشدُّ وحشة.

في زاوية منه, جلست تقلب "ألبوم صور" بحَنُوٍّ نادر, وكأنها تلتقط أجسادا صغيرة, وتحميها من السقوط. أصابعها الجافة تتحسس حدود الصور, فتبعث فيها دفئا, وحركة، فتنطلق في حركة طفولية, وتتعالى الضحكات, وكذالك الصرخات, ويتواصل الركض حول طاولة أكل وَزّعت على مساحتها أطعمة مختلفة, اجتهدت في إعدادها منذ الصباح، وحتى التميز في تشكيل زينتها، أجواء زاهية ببالونات ملونة, أشرطة تزيين, وفي ركن آخر تراكمت هدايا العيد:

ـ أنا أحب الشوكولا.

ـ حاضر.

ـ وأنا أحب عصير الفراولة.

ـ حاضر.

ـ وأنا أحب هذا وذاك, كل شيء..

ـ حاضر.

وتمطرها الشفاه الطريّة بقبلات حارة ندية, فتبعث في عمرها رحيق العطاء أكثر.. وأكثر.

تزداد ضحكات الصغار, وتتعالى, ويتواصل هذا الركض مرحا طفوليا تتحرك معه كل الأشياء الساكنة, ولحين تسقط مزهرية تركن في الزاوية فيتوقف الجميع، يسكت، وصوت خافت مضطرب ينفذ بالكاد من شفتين صغيرتين:

ـ آسف أختي.

ـ لا عليك، فقط انتبه.

كبرت بعدها حمائم العمر, واكتست بعناوين لرحيل مشترك:

سافر "أحمد" ليكمل دراسته، تزوّجت "نجوى"، اتسعت مشاريع "أمين" وأخذنه أسرته الصغيرة.

عند الصباح, ومع أول ساعة منه, عاودت مسح المكان الفارغ جدا, وأخذت هاتفها الخلوي, وقرأت ثلاث رسائل قصيرة جدا:

ـ أسف لم استطع المجيء.. أحمد.

ـ آسفة طفلي مريض.. نجوى.

ـ أعتذر.. خرجت مع أسرتي.. أمين.

فتطوي ألبوم الصور, وتدسّه فيما تبقى من عمرها, وصوت فيروزي يصدح في أركان البيت:

ـ "سنرجع يوما إلى حينا"...